أنا المسافة

سهام الشّعشاع

في ظلِّ حزنِكِ يا أميرةَ حزننا
مرَّ الصّهيلُ مكبّلاً بالخيلْ
بمواسمٍ هجرتْ نوافِذَها الشّموسْ
فتلوّنتْ باللّيلْ
قمرٌ يحاصرُ ما تبقّى من نجومٍ في دمي
ليفضَّ فيه بكارةَ الصّخرِ القويْ
أمشي وسيفُ الرّيحِ يسرقُ خطوتي
ويمزّقُ الشّجرَ الوريفْ
شدّوا أكفَّ اللّيلِ عنّي
ليصيرَ بردُ الرّوحِ ثوباً للخريفْ
الآن أفلتُ من عواصمِ وحشتي
ومن انكساري
كي أعتلي جبلَ الرّياح
وأصوغَ من ملحِ البدايةِ طائراً
يسمو على كلِّ الجراحْ
وأدقُّ أبوابَ المدينة بالرّعودْ
لأعودَ حتّى بيتنا المشدودِ في شعري
في بيتِنا ظلٌّ لأجنحةِ القمر
في بيتنا عطرٌ يسافرُ في الحقائبِ سيداً
لكنّني . . .
سأقصُّ أطرافَ السفرْ
يمشي الجنينُ مغبّراً في الحيّ
فبكلِّ شبرٍ من جبالِيَ لي مدىً
وبضحكةِ الأطفالِ والأزهارِ لي صبحٌ وضيْ
وتظلُّ من روحِ المسافةِ خطوةٌ ما بيننا
بعيونها أمضى سلاحٍ أنثوي
هي لحظةٌ
مرَّ الزّمانُ بغصنها
فتلوّنتْ بالماء
حطَّتْ على جرحي الّذي شرَّعتُهُ للريحْ
لتعبَّ من دميَ البهي
مرَّ الصّهيلُ بحيِّنا
ليعشّبَ الأحلامَ من شوكِ المدينهْ
آتٍ من الشّهواتِ تشربُ من مآقيهِ الحزينهْ
كفراشةٍ ظلّتْ تسابقُ خوفها في الزّهرْ
وكدميةٍ من ثغرِها فرّتْ مرايا العمر
لتصيرَ ظلاً تستريحُ به المدينهْ

* * *

في أيّ وجهٍ سوفَ أخفي نخلَ روحي
كي يظلَّ متوّجاً بربيعِهِ حتّى المساء
في أيّ وجهٍ سوف أخفيه
لتملأ ضحكتي هذا الفضاءْ
وأشدُّ خصري بابتسامةِ عاشقٍ
كي لا تفرَّ مدينتي بنسائِها
نحو السّماءْ
هي لحظةٌ
مطرٌ يجيءُ بغفلةٍ منّا ولو كرهَ الشّتاءْ
مطرٌ يُضيعُ من الخطرْ
ذاك الرّصيف وذا الرّصيف
والرّيحُ تبحث عن حفيف
والقمحُ يبحثُ عن رغيفْ
والجرحُ يبحثُ عن نزيفْ
وتضيقُ في اللّيل المسافةُ بين خطوتنا
وبين الأرصفه
وتضيقُ بين وجوهنا
ودموع قنديلٍ بعيدْ

* * *

من لي بهاتين اليدين تلملمان القمحَ من هذا السّرابْ
جسدٌ وعينان اثنتان وحورتان وربوتان من الغيابْ
كن يا صديقي طيّباً
يا من ثنيتَ زهورَ عمرِكَ في الخرابْ
ما كلُّ خطٍّ فوق سطحِ الأرضِ دربٌ للقدمْ
ما كلُّ وردٍ في حدائِقِها الجميلةِ للندمْ
مرَّ الصّهيلُ بحيّنا
يا أيّها الرّجل الخرافيُّ الّذي ضجّتْ به الأنثى لتغدو
في فضاءِ الذّكريات
يا أيّها الرّجلُ الّذي قد فرّ من فرحِ المسافةِ للألمْ
سأفرُّ منّي باتجاهِ الغيمْ
وأفرُّ منكْ
سأطيرُ منكَ إلى حمامِ النّومْ
وأغيبُ عنكْ
سأكونَ سرباً من عبيرٍ
لا حرائقَ في يديك
سيكونُ لي برقٌ لأكتبَ قصّة الجمرِ الّتي عاشتْ
على جبلِ الخرافهْ
كلّ النّساءِ على امتداد جراحهن حقيقةٌ
وأنا المسافهْ